(الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوى الغضبية)

(الباب الاول ما ينبعث من القوى الغضبية)

الخميسة قوة الغضب متى تحركت حركت دم القلب فتولد منه ثلاثة أحوال وذلك لانها اما تتحرك على من فوقه أو على من دونه أو نظيره فان كان ذلك على من فوقه ممن يظن انه لا سبيل له الى الانتقام تولد منه انقباض الدم وذلك هو الجزع وان كان على من دونه ممن يظن ان له سبيلا الى الانتقام منه تولد منه انقباض الدم وتردده بين الانقباض والانبساط وذلك هو الحقد وان كون الغضب والغم بالذات واحدا واختلافهما بالاضافة سئل ابن عباس رضى الله تعالى عنه فقال عجبت لهما واحدا واللفظ مختلف فمن نازع قادرا عليه أظهره غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا ومنه قول الشاعر

فحزن كل أخي حزن أخو الغضب والانبساط دم القلب للحقد يحمى وجهه تارة وذلك اذا كثر واشتد غضبه كالنار في غار فيسود وجهه ولانقباض دم الجزع عن ظاهر الجلد واجتماعه في القلب يصفر وجهه حتى ربما يهلك من ذلك ولتردد دم الحقد بين هذه الاحوال يحمر ويصفر ويسود والحرد هو الغضب لكن يستعمل اذا كان معه قصد المغضوب عليه ولذلك يقال حرد حرد الاسد

(الباب الثاني أنواع الصبر ومدحه)

الصبر ضربان جسمي ونفسي فالجسمي هو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية ونهايته المعلومة وأكثرها لذوي الجسوم الخشنة وليس ذلك لفضيلة تامة قال

والصبر بالارواح يعرف فضله * صبر الملوك وليس بالاجسام

وذلك في الفعل كالمشي ودفع الحجر وفي الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الصرف والقطع والثاني نفسي وبه تعلق الفضيلة وذلك ضربان صبر عن تناول مشتهى ويقال له العفة وصبر على تحمل مكروه أو محبوب وذلك تختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعه فاذا كان ذلك في نزول مصيبة فانه مما استعديه اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع والحزن وان كان في احتمال غنى فقد سمي ضبط النفس ويضاده الدقع والبطر وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده

قوله الدقع محركة هو الرضى بالدون من المعيشة وسوء احتمال الفقر اه قاموس

الجبن وان كان فى امساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمى حلما ويضاده التذمر وان كان فى نائبة مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده ضيق الصدر والضجر والتبرم وان كان فى امساك كلام فى الضمير سمى كتمان السر ويضاده الافشاء وان كان فى الامساك عن فضولات العيش سمى قناعة وزهدا وهذا يضاده الحرص والشره ولكون الصبر عاما قال عزوجل والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس فذكرانهم يصبرون فى البأساء أى الفقر وفى الضراء أى المصيبة وحين البأس أى المحاربة قال بعضهم يقال ضبط النفس فى الاشياء الملذة والصبر يقال فى الاشياء المحزنة وقال بعضهم بل هما من الاسماء المترادفة على معنى واحد ان قيل ما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان قيل لما كان جميع المحامد ضربين ترك الشر ويعبر عنه بالصبر وفعل الخير ويعبر عنه بالشكر صار الصبر الذى هو ترك الشر نصف الايمان

(الباب الثالث الشجاعة)

الشجاعة ان اعتبرت وهى من النفس فصرامة القلب على الاهوال وربط الجاش فى المخاوف وان اعتبرت بالفعل فالاقدام على موضع الفرصة وهى فضيلة بين التهور والجبن وتولدها من الغضب والفزع اذا كانا متوسطين فان الغضب قد يكون مفرطا كمن يحتدم سريعا من أشياء صغيرة وقد يكون مفرطا كمن لا يغضب على حرمه وشتم أبيه وأمه وقد يكون متوسطا على ما يجب فى وقت ما يجب وبقدر ما يجب وكذلك الفزع يكون مفرطا فيتولد منه الجبن المسالم ومفرطا فيتولد منه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم أبيه وتضييع حرمه واصدقائه وقد يكون متوسطا كما يجب وبقدر ما يجب ولكونهما أعنى الغضب والفزع على حالتين محمودة ومذمومة صارا يحمدان تارة ويذمان تارة فان الغضب فى نحو قوله عزوجل غضب الله عليهم والفزع فى نحو قول الشاعر

* غضبت لظلمات الخ محمودان والتهور هو الثبات المذموم فى الامور المعطبة وأنواع الشجاعة خمسة سبعية كمن أقدم لثوران غضب وتطلب غلبة وبهيمة كمن حارب توصلا الى مأكل أو منكح وتجريبية كمن حارب مرارا فظفر بفعل ذلك أصلا يبنى عليه وجهادية كمن يحارب ذبا عن الدين وحكيمية وهى ما تكون

فى

فى كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة بقدر ما يجب على ما يجب ألا ترى كيف يحمد من أقدم على كافر غضبا لدين الله أو طمعا فى ثوابه وخوفا من عقابه أو اعتمادا على ما رأى من انجاز الله تعالى وعده فى نصرة أوليائه فان كل ذلك محمود وان كان محض الشجاعة ان لا يقصد بالاقدام حوز ثواب ودفع عقاب فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم والفرق بين المقدم فى الحرب لمحض الحكمة واخلاص الدين وبين المقدم لغير ذلك ان المقدم لغير الحكمة والاخلاص يخاف الموت أكثر مما يخاف المذمة والمقدم للحكمة والاخلاص بالضد من ذلك فانه يختار الموت الجميل على الحياة الذميمة ولذلك قال على رضى الله تعالى عنه أيها الناس ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفس ابن أبى طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون من ميتة على فراش ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الانسان نفسه أو غيره وكل واحد منهما ضربان مجاهدة النفس بالقول وذلك بالتعلم وبالفعل وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية ومجاهدة العين بالقول وذلك بتعيين الحق وتعليمه وبالفعل وذلك مدافعة الباطل ومقاطيه بالحرب

(الباب الرابع أسماء انواع الفزع والفرق بينهما وما يحمد منهما ويذم)

الفزع والجزع اخوان لكن الفزع ما يعترى الانسان من الشئ المخيف والجزع ما يعترى من الشئ المؤلم والفزع لفظ عام سواء كان عارضا عن امارة أو دلالة ومتى كان عن شئ يضره فهو الفرق والذعر ومتى كان الخوف محمودا فهو الاشفاق ولهذا قال تعالى حكاية عن اهل الجنة انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين والخوف توقع مكروه عن امارة والخشية خوف يشوبه تعظيم المختشى مع المعرفة به ولذلك قال تعالى من خشى الرحمن بالغيب والوجل استشعار عن خاطر غير ظاهر ليس له أمان قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة الآية والرهبة مع تحرز واضطراب لتضمن الاحتراز قال تعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وايای فارهبون والهيبة وهبة جالبة للخضوع عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل فى كل محتشم قال الشاعر

أهابك اجلالا وما بك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها

وهذه الاشياء قد تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد باعتبار الامور الاخروية

قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال واياى فارهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء والخوف من الله تعالى ليس يشار به الى ما يخطر فى البال من الرعب كاستشعار الانسان الرعب من الاسد وانما يشار به الى ما يقتضيه الخوف وهو الكف عن المعاصى ولذلك قيل لا تعدن حائفا من لا يترك الذنوب وقال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه أى لا تفعلوا ما يقتضيه الخوف منه وافعلوا ما يقتضيه خوفى ان قيل كيف مدح المؤمن بالحزن والخوف مع قوله الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل أما الممدوح فهو مقتضاهما وذلك باقامة العبادات وأما المنفيان عنهم فهما اللذان يكونان من الاشرار

(الباب الخامس مداواة الهم وازالة الخوف)

حق الانسان ان يعلم ان الدنيا جمة المصائب ريقة المشارب تمر للبرية أضعاف البلية فيها مع كل لقمة غصة ومع كل جرعة شرقة فهى عدوة ومحبوبة كما قال أبو نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وكما روى عن الحسن انه قال ما مثلنا مع الدنيا الا كما قال كثير

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

فما أحد فيها الا وهو فى كل حال غرض لاسهم ثلثة سهم بلية وثلثة سهم رزية وثلثة سهم منية

تناضله الآفات من كل جانب * فتخطأه يوما ويوما تصيبه

وقال بعض الحكماء أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب ولا يسلم منهما انسان لأن الثبات والدوام معدومان فى عالم الكون والفساد فمن أحب ان يعيش هو وأهله وأحبابه فهو غير عاقل لانه يريد ان يملك ما لا يملك ويوجد له ما لا يوجد فحق المرء ان يخلى قلبه من اعتبار ما يرى من الارتجاع لودائعها من أربابها وحلول نوادعها بأصحابها وما أحسن قول ابن الرومى

ألم تر رزء الدهر من قبل كونه * كفاحا اذا فكرت فى الخلوات

فمالك كالمرمى من ناشل له * بنبل أتته غير مرتقبات

فان

فان قلت مكروه أتى فأتيه * فانوجه نفس مع الخطرات
ولا عوقبت نفس بسلمى وقدرأت * عظات أتتها ثم بعد عظات
اذا بعثت أشياء قد كان مثلها * قديما فلا تعتدها بفتات

ثم من حقه ان يقلل من اقتناء ما يورثه الحزن فقد قيل لحكيم لم لا تغتم فقال لاني لم أقتن ما يغمني فقده فقد أخذه من الشاعر حيث قال

فمن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

وقيل لحكيم هل للانسان ان يعيش آمنا قال نعم اذا احترس من الخطيئة وقنع بحلاله ولم يحزن لما هو واقع به لا محالة واعلم ان الجزع على ما فات لا يلم ما شعث ولا يرم ما انتكث كما قال * وهل يرجع حد على فاجزعا * فأما غمه على المستقبل فلا يخلو من ثلاثة أوجه اما في شئ ممتنع كونه أو واجب كونه أو ممكن فان كان على ما هو ممتنع كونه فليس ذلك من شأن العقلاء وكذلك اذا كان من قبل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب العباد وان كان ممكنا كونه فان كان من الممكن الذي لا سبيل الى دفاعه كامكان الموت قبل الهرم فالحزن له جهل واستجلاب غم الى غم وان كان من الممكن الذي يصح دفعه فالوجه ان يحتال الى دفاعه بفعل غير مشوب بحزن فان دفعه والا تلقاه بصبر وليتحقق قوله عز وجل ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم فمن علم ان ما جرى في حكمه وسبق في علمه لا سبيل الى ان لا يكون هانت عليه النوب واعلم ان الذي يغر الناس حسن ظنهم باغترار الآفات واغترارهم حالة بعد حالة بصفاء الاوقات ولو تأملوها لتحققوا انها كما قال أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ما قال الناس لقوم طوبى لكم الا وقد خبأ الدهر لهم يوم سوء شر

ان الليالي لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعدها حسان

واما سبب الاغتمام بالموت فلا ينفك من أربعة أوجه أما الشهوة لطعمه وفرجه ان تفوت واما على ما يخلفه من ماله واما على جهله بحاله واما خوفا مما قدمه من عصيانه فان كان ذلك لخوفه على شهوة بطنه وفرجه ان تفوت فليعلم ان ذلك كمشتهي داء ليقابله بدائه مثله فان الانسان لا يستلذ بالطعام حتى يجوع والجوع داء مهروب منه وشبعه داء مهروب منه فمثل من يحمي الجوع ليستطيب بعده الاكل كمن يستطيب القعود في الشمس ليناله الحر

ثم يستطيب الفهود في الظل فمحبة ذلك رقاعة لا تحمد ولا تعد وان كان ذلك على ما يخلفه من ماله فذلك لجهله بخساسة الاعراض الدنيوية وكونها تجمع كل بلية وبنفاسة الاملاك الحقيقية التي وعد المتقون بها وان كان لجهله بماله لعدم مداواته العلم والمعرفة الحقيقية التي تريه حال ما للانسان بعد الموت كما قال حارثة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون والى أهل النار يتعاوون فيها وان كان خوفا لما قدمه من عصيانه فدواءه المبادرة بالتوبة وكفاه ان كان ذا بصيرة ما جعله الله له سبيلا من تدارك ما فرط منه وما وعد التائبون

(الباب السادس احوال الناس في محبة الموت والاحتيال لقلة المبالاة به)

الناس في ذلك على ثلاثة أضرب الاول حكيم يعلم ان الحياة تسترقه والموت يعتقه وان الانسان في هذا العالم وان طال فيه لبثه فهو لحظة برق لمعت في آفاق السماء ثم عادت للاختفاء وانه في دنياه كمبعوث الى ثغر يحوطه و بلد يسوسه يراعي ما استرعي و يسهر لدعائه اذا دعي ولا يكاد يود خروجه منها الا بقدر ما يفوته من تخدمة ربه والازدياد من تقربه والاشفاق مما يقول و يقال له كما قال بعض الصالحين وقد رؤي منه جزع عند الموت فقال جزعي ان أسلك طريقا لم أعهده وأقدم على رب لم أره ولم أدر ما أقول وما يقال لي والناس رجل الف هذا العالم وان كرهه فسبيله سبيل من ألف بيتا مظلما قذرا ولم ير غيره فهو يكره الخروج منه وان كان قد كره دخوله فيه كما قال

دخلنا كارهين لها فلما * ألفناها خرجنا مكرهينا

وما حب البلاد بنا ولكن * أمر العيش فرقة من هوينا

وحق ما قيل لو رضي الناس بأرزاقهم رضاهم بأوطانهم لما شكا أحد فقره فهذا متى خرج من دنياه واطلع على ما أعد للصالحين من مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر سر بخلاصه كما حكى الله سبحانه وتعالى عن استقرارهم في جنة النعيم حيث قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور والثالث رجل أعمى البصيرة متلاطم البصيرة عما ارتكبه من أنواع الجريمة

الجريمة رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها ويأس من الآخرة كما يأس الكفار من أصحاب القبور فاذا خرج منها الى دار الخلود أضر ذلك به * كما تضر رياح الورد بالجعل فاذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلى في مصاحبة الملأ الأعلى ومنادمة أولى العلى فيعمى كما قال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فان من تربى في هذا العالم بغذائه من العلم والعمل الصالح جدير بأن لا يشتاق اليه بعد خروجه منه وان خرج كارها كما لا يشتاق الى بطن أمه بعد الخروج منه ويدل على انه خرج من بطن أمه كارها بكاؤه قال بعض العلماء أول ما يسأل الصبي عن غمه عند سقوطه لما يضغطه من مضيق خروجه ويصيبه من ألم الهوى فيتوجع والوجع يورثه الغم والغم يحمله على البكاء وقال ان للصبي كل ما يكون للحيوان غير التعلق بالالم واللذة والجوع والعطش وقال ابن الرومي

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
واﻻ فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما أحد الا والموت خير له من الحياة لان الله تعالى قال في الاخيار وما عند الله خير للأبرار وقال في الاشرار انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل الصالح اذا مات استراح من الدنيا والطالح اذا مات استراحت منه الدنيا قال بعض الصالحين من قال لغيره صانك الله من نوب الايام وصروف الزمان فانه يدعو عليه بالموت لان الانسان لا ينجو من ذلك الا بعد خروجه من دار الكون والفساد وقال بعض الصوفية حق على الموت ان يحيه المسلم من بين الملائكة فانه يفصل حياته الابدية من حياته البدنية ولهذا أمرنا ان نقول في دعائنا اللهم صل على جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وان جبريل وميكائيل سبب لانبائنا من ذلك العالم بما فيه خلاصنا من دار الكون والفساد فاذا حقه عظيم وشكره لازم وقد حكي ان قوما من الاوائل كانوا يعظمون زحل وقالوا انه لا يعين على الحياة العرضية بل هو سبب انقاذنا من الدنيا الدنية وقال بعض الاولياء في مناجاته الهي ان سألتك الحياة في دار الممات فقد رغبت في البعد عنك وزهدت في القرب منك فقد قال نبيك وصفيك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وقال بعضهم ان كان فى قلة الحياة الدنيوية غنى ففى انقطاع الحاجة كلها الغنى الاكبر ولا انقطاع لها الا بمفارقة الدنيا التى هى سبب فاقتنا والعبودية لغير الله تعالى وقبيح بالعاقل صحبة الفاقة والتخصص بعبودية غير رب العزة والموت سبب نقص ذلك الانسان ومن رغب عن كماله فهو من الذين خسروا أنفسهم ومن كره الموت أخرج من الدنيا كارها فيكون كعبد آبق رد الى مولاه مأسورا وقيد الى حضرته مقهورا وشتان بين عبد دعاه مولاه فأتاه طوعا وعبد آبق أسر فأتى به قسرا وحق العاقل ان يكثر من ذكر الموت فذكره للموت لا يقرب أجله ويفيده ثلثى القناعة بما رزق والمبادرة بالتوبة والنشاط فى العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكره أحد وكان فى ضيق الا وسعه عليه ولا فى سعة الا ضيقها عليه وقيل ذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف عرق المنى فيهون المصائب ويحول بين الانسان والطغيان

(الباب السابع السرور والفرح)

السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة الصدر عاجلا وآجلا وذلك فى الحقيقة لا يكون الا اذا لم يخف زواله ولا يكون الا فى المقنيات الاخروية ولذلك قيل لا سرور فى الدنيا على الحقيقة والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة وذلك فى اللذات البدنية الدنيوية ولهذا قال عز وجل لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والفرح يدعو الى النشاط والنشاط الى المرح والمرح الى الاشر والاشر مقدمة البطر وأكثر ما يحدث ذلك فى الاحداث والصبيان بقدر ما يغلب عليهم من الغفلة وقد ذمه سبحانه وتعالى بقوله وفرحوا بالحياة الدنيا وقال ان الله لا يحب الفرحين وقال تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وقد يسمى الفرح سرورا والسرور فرحا لكن على نظر من لا يعتبر الحقائق ويتصور أحدهما بصورة الآخر ولذلك قيل من طلب السرور كان خارجا منه لم ينله

*(الباب

(الباب الثامن العذر والتوبة)

المذنب اذا عوتب أو خاف العتب لا ينفك من وجهين اما ان يكون مصرا ومعتذرا فأما المصر فقد يستحسن في بعض الاحوال التجافي عنه وقد سمع رجل حكيما يقول ذنب الاصرار أولى بالاعتفاء فقال صدق ليس فضل من عفا عن السهو القليل كفضل من عفا عن العمد الجليل وأما المعتذر فهو المظهر لما يحوبه الذنب وجميع المعاذير لا تنفك من ثلاثة أوجه اما ان يقول لم أفعل أو يقول فعلت لاجل كذا فبين ما يخرجه عن كونه ذنبا او يقول فعلت ولا أعود فمن أنكر وأبى عن كذب ما نسب اليه فقد برئت ساحته وان فعل وجحد فقد بعد التغابي كما وايا قصد الشاعر بقوله

تغابى وما بك من غفلة * لفرط الحياء وفضل الكرم

ومن أقر فقد استوجب العفو لحسن ظنه بك قال بعض البلغاء تجاوز عن مذنب لم يسلك بالاقرار طريقا حتى أخذ من ريائك رفيقا وان قال فعلت ولا أعود فهذا هو التوبة والانسان حقه ان يقتدي بالله في قبولها وللتوبة شرائط فرضا ونفلا ففرضها ترك الذنب مع عدم العود اليه ونفلها التأسف لما سلف من الذنب والاستغفار له وترك بعض المباحات مقابلة لما فات من العصيان واعلم ان للمذنب التائب اذا تاب توبة نصوحا فضيلة على من لم يذنب من ثلاثة أوجه الاول لانه جرب العيوب والذنوب وعرف مداخل الشيطان على الانسان فيكون أهدى الى الاحتراز فقد قيل لحكيم فلان لا يعرف الشر فقال ذلك أجدران يقع فيه والثاني ان المذنب التائب محتشم قد غلب الخوف على قلبه فيأتي مولاه خزيانا منكسرا ومن لم يذنب ربما يجب بنفسه ويدل بفعله وليس خدمة عبد عصى ملكا وخرج عليه خارجيا ثم عاد اليه وجلا فتجوفى عنه كخدمة مدل بطاعته والثالث ان التائب حلب الدهر بشطريه خيره وشره وحلوه ومره فهو أرفق بالمذنبين وأوفق لهم وأصلح للرياسة ممن يظن ان الذنب خارج عن الطبيعة الانسانية فيعجب بنفسه ويزري بغيره

(الباب التاسع الحلم والعفو)

الحلم امساك النفس عن هيجان الغضب والتحلم امساكها عن قضاء الوطر

منه اذا هاج ولما كان الحلم عن تأثير العقل وغير منفك عنه صار يعبر به عن
كل عقل ظهر فعلا كقوله عز وجل في ذم الكفار على سبيل التعجب منهم أم
تامرهم أحلامهم بهذا ومتى استعمل الحلم في الباري تعالى فانما يراد العمل
بمقتضاه وهو العفو دون انفعال يعرض له ولن يتم حلم الانسان الا بامساك
الجوارح كلها اليد عن البطش واللسان عن الفحش والعين عن فضولات
النظر وأقرب لفظ يستعمل في ضد الحلم التذمر وأما العفو والصفح فهما
صورتا الحلم ومخرجاه الى الوجود فالعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح ترك
التثريب واشتقاقه من تجاوز الصفحة التي أثبت فيها ذنوبه أي الاعراض
بصفحة الوجه عن التلفت الى ما كان منه وهو محمود اذا كان على الوجه الذي
يجب فقد قال تعالى فاصفح الصفح الجميل فحض تنبيها على ما يحمل منه وقد
حث الله تعالى على ذلك بقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
فأمر بالحلم والعفو وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا وقال تعالى فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين وقال فمن عفا واصلح فأجره على الله والعفو انما
يستحب فيما اذا كانت الاساءة مخصوصة بالعافي كمن أخذ ماله أو شتم عرضه
فاما اذا كانت الاساءة عائدة بالضرر على الشرع أو على جماعة الناس فانه
ان كان فيها أدنى شبهة فللسلطان العفو لقوله صلى الله عليه وسلم ادرؤا
الحدود بالشبهات فان لم تكن ذات شبهة فليس عفوا ولذلك قال الله تعالى
في الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
وحق المعاقب ان لا يكون سعيا في انتقامه بل لا يعاقب حتى يزول سلطان غضبه
لئلا يقدم على ما ليس بواجب ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر
في جرمه ويعيد النظر فيه قال بعضهم ينبغي للسلطان ان يؤخر العقوبة حتى
يتقضى سلطان غضبه ويجعل مكافأة المحسن ويستعمل الاناة فيما يحدث
فتأخير العقوبة فيه امكان العفو ان أحب ذلك وفي تعجيل المكافاة بالاحسان
مسارعة الاولياء الى الطاعة أتى الاسكندر بمذنب فصفح عنه فقال بعض
جلسائه لو كنت اياك لقتلته فقال فاذا لم أكن أنا اياك ولا أنت اياي فكيف
قتله وانتهى الى بعض أصحابه فوجده يقتاب فقال بعض جلسائه لو انتهكته
عقوبة فقال اذا أبسط عذرا ولسانا في اغتيابي واعلم ان لذة العفو يلحقها

حد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم والعقوبة الام حالات ذي القدرة وهي طوف من الجزع ومن رضي ان لا يكون بينه و بين الظالم الا ستر رقيق فليتقصف وقد نبه الله تعالى على ذلك بلطيف من المقال فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى مجازاة المسيء باسامته اسامة وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فسمى المجازى على الاعتداء معتديا تنبيها على انه قد كاد يكون اياه والعقوبات بين الناس أقبحها ما كان فيما لم يظهر بالفعل فقد قال بعض الملوك انما نملك الاجساد دون الضمائر ونفحص عن الظواهر لا عن السرائر ثم من سلم ظاهره احتمل مرائه فقد سلم فوالمرء وآيته سليمة ويزل وطريقته مستقيمة

(الباب العاشر في ان الغضب وفضل كظمه)

الغضب بمنزلة نار ربما يشتعل والناس يختلفون فيه فبعضهم كالحلفاء * سريع الوقود سريع الخمود * وبعضهم كالغضا * بطيء الخمود بطيء الوقود * وبعضهم * سريع الوقود بطيء الخمود * وبعضهم بعكس ذلك وهو أحدهم ما لم يكن مفضيا به الى زوال حميته وفقدان غيرته واختلافهم تارة يكون بحسب الامزجة فمن كان طبعه حارا يابسا يكثر غضبه ومن يكون بخلافه يقل وتارة يكون باختلاف العادة في الناس من تعود السكون والهدو وهو المعبر عنه بالذلول والهين واللين ومنهم من تعود الانزعاج والطيش فيحتد بأدنى ما يطرقه كالكلب يسمع صوتا فينبح قبل ان يعرف ما هو وأكثر الناس غضبا الصبيان والنساء وأكثرهم فجورا الشيخ وأجل الناس شجاعة وأفضلهم مجاهدة وأعظمهم قوة من كظم الغيظ وعلى ذلك دل قوله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال عليه الصلاة والسلام وقد مر بقوم يرفعون حجرا فقال ألا أخبركم بأشدكم من ملك نفسه عند الغضب واعلم ان نار الغضب متى كانت عتيقة تأججت واضطرمت واحتدمنه غليان الدم في القلب وامتلأت الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا يسود منه حال العقل ويضعف به فعله فكما ان الكهف الضيق اذا ملئ سرجا التهب فيه اللهب والدخان وعلامته الاجيج فيصعب علاجه واطفاؤه ويصير كل ما يدنو

منه مادة لقوته وكذلك النفس اذا اشتعلت غضبا عميت عن الرشد وصمت عن الموعظة فتصير مواعظه مادة لغضبه ولهذا حكى عن ابليس انه قال متى أعجزني ابن آدم فليس يعجزني اذا غضب فانه ينقاد لي في كل ما أبتغيه ويعمل بما أريده وأبتغيه وقيل الغضب جنون ساعة وربما أدى الى تلف وهو اختناق حرارة في القلب وربما كان سببا لامراض صعبة مؤدية الى التلف وأسباب العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والضيم والاستهزاء وطلب ما فيه التنافس وشهوة الانتقام وحق من اعترته غضبيته ان يتفكر فان كان المغضوب عليه تحت يده فلا معنى لاستشاطته اذ هو ممكن من الانتقام منه على سكون الجاش فان كان غضبه على من لا سبيل له فلا معنى لتعذيبه نفسه في الوقت بل حقه ان يصبر حتى يتمكن منه ثم يفعل بالواجب وقال حكيم سدطرس الغضب قبل تلهب ناره في محك ودمك فانما يمكن اطفاؤها قبل انتشارها فاما اذا انتشرت فلا سبيل الى اطفائها وقال سلطان لحكيم كيف لي ان لا أغضب فقال بأن تكون كل وقت ذاكرا انه يجب ان تطيع لا أن تطاع فقط وان تخدم لا أن تخدم فقط وان تحمل لا أن تحمل فقط وأن تحقق بأن الله تعالى يراك دائما فاذا فعلت ذلك لم تغضب وان غضبت غضبت قليلا

(الباب الحادي عشر الغيرة والجوار)

الغيرة ثوران الغضب حماية على أكرام الحرم وأكثر ما يراعى في الحرم والنساء وجعل الله سبحانه هذه القوة في الانسان سببا لصيانة الماء وحفظا للانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الانسان صيانته في السياسات الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه وسياسة منزله وأهله وسياسة مدينته وضيعته ولذلك قيل ليست الغيرة ذب الرجل عن امرأته ولكن ذبه عن كل مختص به وقيل الغيرة الذب عن كل ضعيف وتسمى كراهة النعمة عند من لا يستحقها غيرة والغيرة وان كانت قوة انسانية فواجب كونها في كل جيل فقد كثرت في العرب حتى ان من دخل دار أحدهم والتجأ الى فنائه عد وافعله حرمة وجوارا وذمارا بل ان تعلق ذلك بالوحشيات والهوام حتى كان يسمون بذلك مجير الجراد ومجير الغزال

وحمير الذئب وسمى الغضب المقتضى للغيرة الحفيظة فقالوا أحفظني فلان أي أغضبني الغضب الذي أثار مني قوة الحفظ

(الباب الثاني عشر الغبطة والمنافسة والحسد)

الذي ينال الانسان بسبب خير يصل الى غيره على سبيل التمني ان يكون له مثله هو الغبطة وان كان في ذلك سعي منه في ان يبلغ هو مثله من ذلك الخير أو مافوقه فمنافسة وكلاهما محمود وان كان مع ذلك يتمنى زوال ما بصاحبه من غير استحقاق لزواله فحسد والحسد تمني زوال نعمة مستحقة من غير أن يكون طالبا ذلك لنفسه ولذلك قيل الحاسد قد يرى زوال نعمتك نعمة عليه قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فحمد الغبطة وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فثنا على التنافس اذ هو الباعث لنا على طلب المحاسن وذلك كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينجو منها أحد الظن والطيرة والحسد وسأخبركم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض ولا تستن واذا حسدت فلا تبغ أي اذا أصابك غم بخير ناله غيرك فلا تبغ ازالته عنه واعلم أن الحسد من وجه غاية البخل لان الحاسد يبخل بمال الله والبخل بمال نفسه ولذلك قيل الحاسد بخيل بما لا يملكه ومن وجه هو أظلم ظالم لأنه يظلم غيره في ازالة حاله ويظلم ربه فيما قدره وقيل الحسد والحرص ركبا الذنوب ومنه نتج ذنب ابليس وآدم فابليس حسد آدم فصار لعينا وآدم حرص على ما نهي عنه فأخرج من الجنة فهما شجرتان تجتنى منهما سائر الرذائل فمن قطع أسبابهما نجا ان قيل ما وجه قول النبي صلى عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فجعله في حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها قيل عنى بالحسد ههنا الغبطة وقد تسمى بالحسد من حيث انهما الغم الذي ينال الانسان من خير يناله غيره ولا يناله هو وعلى ذلك يقول الانسان لولده لا تحسد فلانا فيما يتعلمه أي لا تتمن حاله واعلم ان الحسد ضرب من الحماقة لان اغتمامه بما يناله ذووه وأهل بلده يقتضي انه ربما يغم بما يناله أهل الصين والهند على ان الخير الذي يناله ذووه وأقاربه هو انفع له مما يناله الاباعد